178689 ـ الرد على المعترض المخذول في اعتراضه على أن الله بعث رسوله رحمة للعالمين

السؤال

هناك عامل وزميل غير مسلم ، وحين أحاول دعوته وإخباره بان الدين الإسلامي دين عظيم ، وكيف أن النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أعظم البشر ، وأعظم من وطئت قدمه الأرض ، وأنه رحمة للعالمين ؛ بل ولكل المخلوقات ، فيظل يرد علي بتلك الردود : كيف يكون محمد رحمة للبشر ؟ و قد قطع أيدي الناس وأرجلهم وصلبهم ، بل ورماهم في الصحراء ليموتوا ... (صحيح البخاري) ، وقد قتل اليهود أمام نسائهم ثم اغتصبهن . أعتقد أن كلمة رحمة والرأفة لابد أن تحذف من أي ترجمة ، ولا تجعلني أبدا في الاعتقاد في الله الذي يحرق الناس حتى يذهب جلدهم ثم يبدلهم بجلد آخر ليحرقهم ويكرر ذلك إلى الأبد ، وهذا في القرآن ، هل هذه هي الرحمة والرأفة في عقلكم ؟ ،أرجو التوضيح ، فأحاول أن أقول له أن هذا ليس حقيقي ، وأن هذه الأمور ليست صحيحة ، ولكنه يأتي لي بالأحاديث التي تؤيد كلامه ، وكيف أن النبي قطع رؤوس سبعمائة يهودي 700 يهودي في سوق المدينة في يوم واحد ، ثم أخذ نسائهم و أطفالهم عبيد و سبايا ؟!! لا أعرف كيف أرد عليه و أشعر بالضيق الشديد . أرجو المساعدة !

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نعم لقد بعث الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كما قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء/ 107 .

وروى الحاكم في "المستدرك" (100) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (2345) .

ثم إن من الخلق من قَبِل هذه الرحمة ، ومنهم من ردها .

قال السعدي رحمه الله :

" فهو رحمته المهداة لعباده ، فالمؤمنون به قبلوا هذه الرحمة وشكروها وقاموا بها ، وغيرهم كفرها ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، وأبوا رحمة الله ونعمته " انتهى من "تفسير السعدي" (ص 532) .

ولذلك قال الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة/ 128

فهو رحمة للمؤمنين ، ورأفة للصالحين ، وهو نقمة على الكافرين وعذاب على المفسدين ،
فإذا رفض العبد الرحمة لم يكن من أهلها ، وهذا معلوم مستقر في الأذهان شرعا وعقلا ،
فإذا لم يكن من أهل الرحمة ، كان من أهل العذاب ، وهكذا جاءت أحكام الشريعة يوافقها العقل ، ويؤيدها النظر الصحيح .
وهؤلاء الذين قطع النبي صلى الله عليه وسلم أيديهم وأرجلهم ونبذهم بالعراء لم يقبلوا رحمة الله ، وعثوا في الأرض فسادا ، فسفكوا الدم الحرام ، وآذوا عباد الله ، فلم يكن بُدّ من استئصالهم ، وإراحة البلاد والعباد منهم ، فإن مثل هؤلاء يفسدون وينشرون الفساد ، وإذا لم يمنعهم مانع قاهر لم يمتنعوا من الإفساد في الأرض ، فصاروا كالعضو الفاسد من الجسد إذا أصابه السوء والبلاء وجعل يستشري فيه شيئا فشيئا لم يكن بد من قطعه واستئصاله ، وإذا لم يستأصل وتُرك على حاله هلك بسببه البدن كله .
روى البخاري (6390) ومسلم (3163) عن أَنَس : (أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاسْتَوْخَمُوا الْأَرْضَ وَسَقِمَتْ أَجْسَامُهُمْ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَلَا تَخْرُجُونَ مَعَ رَاعِينَا فِي إِبِلِهِ فَتُصِيبُونَ مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا ؟ فَقَالُوا بَلَى . فَخَرَجُوا فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَصَحُّوا فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَطَرَدُوا الْإِبِلَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَأُدْرِكُوا فَجِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَسُمِرَ أَعْيُنُهُمْ)

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : " فَهَؤُلَاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ " رواه البخاري (226) .
فهؤلاء أهل فساد ، هم في المجتمع كالعضو الفاسد في البدن ، لا بد من استئصاله ، وهذا من تمام الحكمة والرحمة التي بها يحصل الأمن للمجتمعات ، ويعتبر أهل الفساد بما حصل لهؤلاء فيتوبوا أو ينكفّوا . أما تركهم بغير رادع يردعهم وأمثالهم من المفسدين في الأرض فهو من إعانتهم على فسادهم ، وتحريض لذويهم للإفساد ، فتخرب البلاد ولا يأمن العباد على أنفسهم ولا على أعراضهم ولا على أولادهم ولا على أموالهم ، ومن استقرأ التاريخ ، ونظر في ذلك وجده حقا لا شك فيه .
وعلى ذلك : فحد الحرابة الذي شرعه الله تعالى بقوله : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة/ 33 .
من تمام العدل والحكمة والرحمة ، والذي يدل على ذلك قوله بعد ذلك مباشرة : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المائدة/ 34 .
فحض الله على التوبة ، ومنع استشراء الفساد ، وعاقب المفسدين ونكل بهم ليرتدع أمثالهم عن أذية العباد ، أليس هذا من تمام الحكمة والرحمة ؟
وهؤلاء المعترضون على دين الله وشرعه وحكمه أهمهم شأن تلك الأيدي والأرجل المقطعة بسبب فساد أصحابها ، ولم يلتفتوا إلى هذا الفساد الذي يلحق الناس في أنفسهم وأهليهم وأموالهم بسبب هؤلاء الظالمين .

أما قتل يهود بني قريظة : فإنهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت اجتمع عليه فيه

الأحزاب من كل مكان ، ورمت العرب المسلمين عن قوس واحدة ، وجاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) الأحزاب/ 9 – 11 .

نقض اليهود عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا استئصال المسلمين ، والقضاء عليهم تماما ، فتحالفوا مع حزب الشيطان على ذلك ، وصارت كلمتهم واحدة ، ووجهتهم واحدة ، وأمرهم واحد : القضاء على الإسلام وأهله .

ولو كان هؤلاء تمكنوا مما أرادوا مما حال الله بينه وبينهم برحمته لذهب الإسلام ، ولذهب أهله ، ولبقي الناس إلى يوم الدين في ضلالات الكفر .

فكان هذا الذي فعله هؤلاء اليهود من نقض العهد ومحالفة المشركين على حرب المسلمين من أعظم الفساد في الأرض ، ومما يدل على أنهم لا عهد لهم ولا ذمة ، وهذا معروف عنهم على مر العصور والأزمان .

ولما نصر الله عز وجل نبيه وعباده المسلمين أُتِي بهؤلاء الخونة ، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ باختيارهم ورضاهم ، فحكم فيهم بحكم الله ، أن يقتل مقاتلتهم وتسبى نساؤهم وذريتهم ، كما في البخاري (2816) ومسلم (3314) .

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ) رواه الترمذي (1582) وصححه ، وصححه الألباني .

لكن السؤال الآن : لماذا رضيت صفية بنت حيي رضي الله عنها بالزواج من النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل أباها – أحد سادات اليهود – وقتل زوجها وعمها ؟!

كيف تم ذلك ؟ وكيف وافقت عليه ؟

فسيقولون : وافقت خوفا منه !

فلماذا لم ترتد بعد موته صلى الله عليه وسلم ؟ لماذا لم تهرب ؟ لماذا عاشت وماتت على الإيمان به وطاعته ومحبته ، وقد فعل بها وبأهلها ما فعل ؟!

إن أحدا من هؤلاء المعترضين المخذولين لا يجرؤ أن يسأل هذا السؤال ؟

وقد روى الطبراني في "المعجم الكبير" (177) عن ابن عمر قال : كان بعيني صفية خضرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه الخضرة بعينيك ؟ فقالت : قلت لزوجي إني رأيت فيما يرى النائم قمرا وقع في حجري فلطمني وقال : أتريدين ملك يثرب ؟ قالت : وما كان أبغض إليّ من رسول الله قتل أبي وزوجي ، فما زال يعتذر إليّ فقال : (يا صفية إن أباك ألّب علي العرب ، وفعل ، وفعل) حتى ذهب ذاك من نفسي .

وصححه الألباني في "الصحيحة" (2793)

أما قول هذا المعترض : " قتل اليهود أمام نسائهم ثم اغتصبهن " فقول باطل وكذب وزور .

وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتل النساء والصبيان والأجراء في الحروب ، فروى أبو داود (2295) عَنْ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ ، فَجَاءَ فَقَالَ عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ ، فَقَالَ : مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ . قَالَ : وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : (قُلْ

لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا) صححه الألباني في "صحيح أبي داود" .

والذين أخذهم النبي صلى الله عليه وسلم في السبي من اليهود كثير منهم من الله عليه بالإسلام . فكان ذلك من رحمة الله بهم .

روى النسائي (3376) عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ قَالَ : " كُنْتُ يَوْمَ حُكْمِ سَعْدٍ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ غُلَامًا فَشَكُّوا فِيَّ فَلَمْ يَجِدُونِي أَنْبَتُّ فَاسْتُبْقِيتُ ، فَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ " . صححه الألباني في "صحيح النسائي" .

يعني أنه كان صغيرا فلم يقتل فأبقوا عليه ، ثم منّ الله عليه بالإسلام ، يقول هذا الكلام تحدثا بنعمة الله عليه .

وقضية صنيع هؤلاء المكذبين أنهم يتبعون : إما الكذب ، وإما الجهل أو الفهم الخاطئ ، ويؤتون من قِبل كفرهم وإعراضهم ورغبتهم أن يكون ما سمعوه من إفك حقا ، فلا تلتفت إليهم .

أما قول الله تعالى عن الكافرين في النار : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) النساء/ 56 .

فيخبر تعالى عن الذين جحدوا بآيات الله وكذبوا رسوله أنه سوف يصليهم نارا ، ينضجهم ويشويهم فيها ، كلما انشوت جلودهم واحترقت أبدلهم جلودا غيرها ؛ ليذوقوا العذاب .

راجع : "تفسير الطبري" (8 /484) .

فمن أخبر هؤلاء أن أهل الكفر والشر والفساد سوف يرحمهم الله ؟

أم من أخبرهم أن العذاب المهين الذي أعده الله للكافرين يوم الدين من الرحمة والرأفة ؟

أفيعقل أن يرحم الله من لا يستحق الرحمة ؟

أيجعل الله المسلمين كالمجرمين ؟ أم يجعل المتقين كالفجار ؟

أيجعل أهل الفساد والتدمير والتخريب كأهل الصلاح والإصلاح ؟!

إن رحمة الله لا تكون إلا للمحسنين من عباده المؤمنين به وبكتبه ورسله ، أما الجاحدون المكذبون المعاندون فأولئك لا يرحمهم الله ، ولهم عذاب أليم .

قال تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) الأعراف/ 56 .

وقال تعالى : (قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) الأعراف/ 156 .

وقال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) التوبة/ 71 .

وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النحل/ 104 .

وقال تعالى : (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) الحجر /49-50 .

وقد أنذر الله وأعذر ، فأرسل الرسل وأنزل الكتب وأظهر الآيات ، وأقام الحجج البينات ، وبشر المؤمنين ، وتوعد الكافرين ، فمن رضي لنفسه بالكفر واختاره على الإيمان فدخل النار فلا يلومن إلا نفسه ، وهو بذلك أشد الناس لها ظلما ، وأعظمهم في

حقها جرما .

ولو أن هؤلاء في قلوبهم من الخوف مثقال ذرة لقادهم الخوف إلى الإيمان والتسليم ، ولو فزعا وفرقا أن يصيبهم هذا التهديد والوعيد الشديد ، ولكنهم أبدا لا يؤمنون ولا يستسلمون ، فإنما يجادلون ويتواقحون لإطفاء نور الله .

فاثبت أيها المسلم على دينك ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون .

ولو قيل للرجل العاقل : لا تشرب هذا السم ، إنك إن شربته مت ، فشربه وهو عاقل مدرك لما يفعل ، على من يقع اللوم ؟ : على الله الذي خلق السم وقدر به الموت ؟ أم على الحية التي استخرج السم منها ؟ أم على هذا الذي شربه برضاه ؟

فكما أننا نسلم بالقدر ولا نعترض عليه ، فكذلك لا بد أن نسلم بالشرع ولا نعترض عليه .

وعليك أن لا تغرق في الجدل مع هؤلاء ، وردهم إلى معالم الخير والصلاح في دين الله ، وكيف أن الإسلام انتشر في الأرض ، وكيف أن الناس يتوافدون في الدخول فيه أفواجا ، والذين كانوا أعداء له من قبل صاروا من جنده وحزبه .

لماذا أسلم عكرمة بن أبي جهل وقد قتل محمد أباه ؟

لماذا أسلمت أم حبيبة بنت أبي سفيان وتزوجت بالنبي صلى الله عليه وسلم في وقت كان أبوها ألد أعدائه وأشد خصمائه ؟

لماذا أسلمت هند بن عتبة وقد قتل محمد أباها وعمها وأخاها في حصدة واحدة ؟

فاعلم أن دين الله حق ، وأن الله لا يخلف وعده ، وأنه أرحم الراحمين ، وأنه بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

ولينظر هؤلاء في قادة العصر الحديث المتحضر ماذا فعلوا ويفعلون بالبشر ممن خالفهم ؟

ماذا يقولون عن أمريكا وما تفعله بشعوب الأرض بدعوى نشر الديمقراطية والقيم ؟

والمخالف إن كان من أهل اليهودية والنصرانية فلينظر في كتابه المقدس ليرى كيف كان أنبياء بني إسرائيل يقاتلون من خالفهم لا يتركون رجلاً أو امرأة أو شيخاً .

وإن كان شيوعياً فلينظر ماذا فعل استالين ورجاله .

وإن كان لا من هؤلاء ولا هؤلاء ويرى الحق في القتال لتحرير الشعوب وإزالة الأنظمة الجائرة فهذا حجة عليه .

والحاصل : أن الرحمة لها أهل ، والعذاب والنكال له أهل ، والنبي صلى الله عليه وسلم مبعوث بالرحمة ، كما هو مبعوث بالجهاد والقتال لأعدائه ، وهو رحمة للعالمين مطلقاً ، من وافقه ومن خالفه ، أما من وافقه فواضح ، وأما من خالفه : فإنه بلّغهم رسالة ربهم وأقام عليهم الحجة ، ولم يعاجلهم بالعقوبة .

وإن من الرحمة إزالة ـ الفئة الجائرة المتحكمة في نفوس وعقول من حولها – بعد إنذارها لتنعم الأغلبية بالأمن والحرية ، وهذه فلسفة الجهاد المشروع في الإسلام .

والله أعلم .

راجع للفائدة إجابة السؤال رقم (151412) ، (165777) .